

مسألة العلم والدين في الفكر الإسلامي-المسيحي و الفكر العلمي الجديد

The issue of science and religion in Islamic-Christian thought and the new scientific thought

فكير محمد راسيم¹*

¹جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان

racimfekir@gmail.com

تاريخ القبول: 2021/09/01

تاريخ الاستلام: 2021/02/27

ملخص:

ان التجربة العلمية في الاسلام كانت تستبعد الفصل بين العلم و الدين اغلبية المفكرين و الفلاسفة المسلمين نضرو الى الطبيعة كونها تجلي لآيات الله و تصبح معرفة الطبيعة و الكون والانسان منفدا للتقرب الى الله بحيث لم يكن هناك سياجا دوغمائيا بين الإنسان و الطبيعة والله على عكس ما كان موجودا في اوروبا بالعصر الوسيط ليس ثمة انفصال بين الرياضيات و علم الفلك و الدين او بين التاريخ و الفلسفة والدين من جهة أخرى وهذا ما يفسر لنا انتقال العلوم من الرؤية التوحيدية للتأمل في العالم الى التأمل في الوجدانية الالهية و بالتالي يصبح الكون ايقونة يتجلى من خلالها الواحد الاحد الله عبر الكثرة و التعددية.

الكلمات المفتاحية: العلم ، الدين ، العقلية المشاعية ، الإحيائية ، الطقوس ، الأسطورة

Abstract:

The scientific experience in Islam used to exclude the separation between science and religion. The majority of Muslim thinkers and philosophers seek nature as it is a manifestation of the signs of God and knowledge of nature, the universe and man becomes a way out to draw closer to God, so that there was no dogmatic fence between man and nature and God, unlike what was Present in Europe in the middle age, there is no separation between mathematics, astronomy and religion, or between history, philosophy and religion on the other hand, and this explains for us the transfer of science from a monotheistic vision of contemplation in the world

* المؤلف المرسل: فكير محمد راسيم، الايميل: racimfekir@gmail.com

to contemplation of divine oneness and thus the universe becomes an icon through which the One is manifested Sunday God through abundance and pluralism

Keywords: Science, Religion, Community Mentality, Revival, Ritual, Myth.

مقدمة:

لقد مرّ الفكر البشري في تطوره بعدة إشكاليات دارت بين العلم و الدين منذ المرحلة اللاهوتية مروراً بالمرحلة الميتافيزيقية إلى غاية المرحلة العلمية. أثارها العديد من المفكرين والفلاسفة أمثال ابن رشد، الغزالي، ابن خلدون توماس الأكويني، سان أوغسطين، دوركايم . ماكس فيبر..... قبل التطرق إلى مسألة العلم والدين سنحاول في مقالنا الاجابة عن التساؤلات التالية ماهو تعريف العلم من الناحية الاصطلاحية واللغوية وماهي المعاني و المصطلحات المعبرة عن جوهر العلم في الاسلام ماهو مفهوم الدين عامة و مفهومه الاجتماعي ما هي البوادر الاولى و الدينية لتشكل العلم الانساني و الفكر الاجتماعي او العقلية المشاعية وكيف ساهم الفكر الاجتماعي الاسلامي والمسيحي بالعصر الوسيط في التوفيق بين العلم و الدين و اخيراً كيف احدث عصر النهضة و عصر الانوار في احداث ; القطيعة بين العلم و الدين.

1- مفهوم العلم

التعريف أولاً لكلمة علم أو المعرفة العلمية التي هي نظام معرفي يتكون من مفاهيم و نظريات ومصطلحات يمكن التحقق منها بإثبات صحتها أو رفضها، إن كلمة علم مشتقة من كلمة Scientia التي تعني مسار فكري، كما تعني رفض المذاهب كما أن كلمة Science تفيد في معناها كلمة إبتسمي التي تتناقض مع الكلمة الإغريقية Doxa بمعنى المعرفة العلمية و الأحكام المسبقة.

يمكن تعريف العلم بأنه نظام معرفي وضعي يعتمد على البرهنة، العقل و الاستكشاف، الجدلية والنقد،

كما أنه نظام معرفي يعتمد على مبدأ السببية الذي يطرح سؤالاً: كيف و لماذا؟

ان مفهوم العلم له علاقة مع العالم MONDE الذي اشتق منه مصطلح العلمانية SECULARISM و هي كلمة انجليزية تترجم باللغة الفرنسية الى LAICITE المصطلح الذي له علاقة مع القرن SIECLE يعني الاشياء التي تحدث في العالم القابلة للتغير حسب الظروف و التي تتناقض

مع القيم الدينية الازلية

2- مفهوم العلم في الاسلام:

إنّ لفظ العلم في القرآن لم يستعمل بالمعنى الذي استعمل بعد. حين نقول: علم النحو أو علم الفقه وهو ما يقابل كلمة Science، وإنما استعمل على ما يظهر بمعنى المعرفة بأوسع معانيها، قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة يوسف آية 76)

انطلاقاً من الآية الكريمة يتبين بأن مفهوم العلم هو نسبي (الإنسان) مقابل العلم المطلق (الله). من بين المعاني والكلمات المعبرة عن معنى العلم في الإسلام نجد: النظر، الحكمة، الفكر، العقل، الهدى، فالإسلام كان له أثر كبير في الحياة العقلية، مسلحاً بشير العقل، وهو الدعوة إلى النظر إلى ما في العالم من ظواهر، لقوله جل جلاله: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ الْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ (سورة الأعراف الآية 185)، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (سورة الطارق الآية 5)، وقوله سبحانه: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَعَنْبًا وَقَضْبًا، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا، وَحَدَائِقَ غُلْبًا، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا، مَتَاعًا لَكُمْ وَلَآئِعًا لَكُمْ﴾ (سورة عبس الآية 24 - 32) إن النظر في الكون للاستدلال منه على الله وصفاته هو الذي كان يطلق عليه القرآن الحكمة، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ (سورة لقمان الآية 12)، وقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (سورة البقرة الآية 296). (أحمد أمين، 1994، صفحة 234) بالمقابل ذلك نجد كلمة الهداية هي أيضاً تعبر عن معنى العلم أو المعرفة التي توصل إلى الهداية وهي الكلمة التي نجدها عند الإغريق Hodos، التي تشير إلى كلمة "هدى" بالعربية، يجب الإشارة أيضاً أن كلمة ما يسمى بالمنهج أو الطريق العلمي Methode Scientifique، هي مشتقة من كلمتين ما وراء Méta: وكلمة Hodos التي تشير إلى مسلك - طريق أو هدى وبالتالي فإن المعنى الاصطلاحي "للمنهج العلمي" هو أقرب إلى المعنى الإسلامي: (الهدى أو الهداية) التي تعني الإهتمام إلى الإسلام واليمان به، والظلال (عكس الهداية، فالمهتدي يسير إلى هدف واضح أما الظلال (غير علمي) فهو سير الإنسان في الطريق لا يوصل إلى الهدف السليم ومن أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله به طريقه إلى الجنة..."

يتبين لنا من خلال المعاني المذكورة أعلاه أنه يوجد تقارب جوهري بين "المنهج العلمي" والهدى الإلهي.

فكلمة طريق العلم أو منهج العلم تشير إلى المسلك والمأخذ الذي يتخذه الباحث العلمي للوصول إلى الهدف المنشود وكلمة الهدى أو الهداية هي أيضا تشير إلى الطريق الذي يتخذه المسلم للوصول إلى الهدف السليم (الجنة).

سورة العلق تشير لنا أن الله عز وجل خاطب النبي محمد صلى الله عليه وسلم خطابا علميا بضرورة اتخاذ طريق العلم قبل طريق الدين والایمان بمعنى أولوية العلم على حساب الدين. بعد قوله عز وجل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (سورة العلق الآية 01)

مضمون السورة يقدم أول لحظة من لحظات اتصال الرسول بالملائكة وتبدأ من صفات الرب التي بها الخلق والبدء (الذي خلق).

3- مفهوم الدين كما جاء في لسان العرب هو الطاعة ومن الدين جاءت لفظة ديان و معناها الحكم والقاضي والقهار وفي مادة دين من لسان العرب لابن منظور سئل بعض السلف عن الامام علي بن ابي طالب فقال كان ديان هذه الامة بعد نبيها قال ابن منظور أي قاضيها و حاكمها

في شارح القاموس نقلا عن العراقي الاصمعي نقل عن بعض العرب فرقا طريقا فقال انما فتح ذال الدين لان صاحبه يعلم المدين وكسرت دال الدين لا بتناؤه على الخضوع و ضم دال الدنيا لا بتناؤها على الشدة

فالنسبة للكاتب السوري فراس السواح في كتابه دين الانسان بحث في ماهية الدين و منشأ الدافع الديني يشرح لنا تبادلات الظاهرة الدينية التي تمر بثلاثة مراحل الدين الفردي الذي يبدأ مع الفرد ثم الى الجماعة ثم الجماعة تشكل مؤسسة دينية (آيات علي/2021/08/https://mqqa.com)

اما بالنسبة لعبد الله دراز يرى ان اشتقاق كلمة الدين تشير الى ثلاثة معاني تكاد تكون متلازمة بعبارة ادق انها تتضمن ثلاثة افعال بيانه ان كلمة الدين تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه دانه يدينه و تارة من فعل متعد باللام دان له و تارة من فعل متعد بالباء دان به و باختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطى الصيغة

اما بالنسبة للتعريفات الغربية للدين اشهرها نجد ما يلي
سيسرون في كتابه عن القوانين الدين هو الرباط الذي يصل الانسان بالله

و يقول كانط في كتابه الدين في حدود العقل الدين عو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على اوامر الالهية

و يعرف تايلور الدين في كتابه المدينيات البدائية الدين هو الايمان بكائنات روحية أما بخصوص الدين أو المعرفة الدينية فهي عبارة عن نظام معرفي مستوحى إما من الله أو رسول، يقدم في شكل عقيدة تتبناه مؤسسة دينية محمد (عبد الله دراز <https://www.hindawi.org/books/86148607>). الدين هو عبارة عن نظام معرفي روحاني مطلق غير قابل للتحقيق و التمحيص و النقد لأنه فوق المحسوس، أفكاره مقدسة وخالصة. (Maurice, 1997)

أما مفهوم الدين عند دوركايم هو نظام موحد من المعتقدات و الممارسات المرتبطة بأشياء مقدسة بمعنى أشياء مفصولة و ممنوعة و معتقدات و ممارسات توحد كل المؤمنين بها في جماعة اخلاقية واحدة يطلق عليها الكنيسة

ينقسم الدين عند دوركايم الى قسمين المقدس و المندس بالنسبة للمقدس فهو يتكون من المعتقدات الاساطير و التماثيل و الخرافات بنما المندس او الديني هو يتكون من السلطات و الفضائل و تاريخها و علاقاتها ببعضها البعض و مع الأشياء الدنيوية (E.DURKHEIM, 1985, p. 50.51.63)

نستنتج من تعريف دوركايم للدين ان هذا الاخير يتطلب نشاط جماعي و جماعة اجتماعية و طقوس و رموز فالجمتمع له اعضائه و الاله له مؤمنين به خلاصة القول ان الدين هو تجلي للمجتمع

4- البوادر الاولى لتشكيل العلم و الفكر الاجتماعي و العقلية المشاعية

لقد مر الفكر البشري (العلم) عبر ثلاثة مراحل نظر إليها عالم الاجتماع أوغست كونت: المرحلة الأولى هي مرحلة اللاهوتية أين بدأ فيها الإنسان يطرح تساؤلات غيبية ما فوق الطبيعة يفسر فيها نشوء الكون La religion cosmogonique، هذه الديانة التي سادت المجتمعات البدائية أو المشاعية العبودية مثلاً حضارة الصين القديمة، اليونان...، فقد اعتبر طاليس الماء هو أصل الوجود و المجتمع الهندي اعتبر أن براهما هو أصل الوجود، عموماً لقد توجهت البشرية نحو السماء لإعطاء حلول والقضاء على حالة الفوضى الأولية والكوارث التي مرت بها البشرية.

من بين خصائص و مميزات التفكير والعلم اللاهوتي أنه كان أسطوريا الأسطورة التي يعني بها أنها تفكير محسوس سابق للمعرفة وليس بالتفكير الخرافي، بحيث أن البشرية لم تنتظر مجيء العلم حتى تفسر ما يحيط بها من ظواهر فمثلا سيدنا إبراهيم تفكيره كان أسطوريا ومحسوسا في بحثه عن أصل الوجود، أين توجه إلى الشمس أين قال هذا ربي تم الشمس غابت فقال ربي أكبر تم توجه إلى القمر و قال هذا ربي تم حجب القمر فقال ربي أكبر إلا أن توصل إلى أن الله هو دائم الوجود.

ان الاسطورة حسب لفي ستروس هي فكر تصنيفي اين تستخدم اصناف تجريبية النبي و المطبوع الطري و الفاسد. المسلوق و المطبوع بالنار فالفكر الاسطوري الفكر الانساني الذي يفهم الواقع بالتماتل قد اصبح فكرا عقلانيا منطقيا تجلت في موقفه من الطبيعة و ذلك بصيرورتها موضوعا لسيطرة علم الانسان و عمله عليها . قبل في الاسطورة انها محاولة اخضاع الطبيعة و الواقع لفهم الانسان بالخيال و التصور أي بقوة الانسان نفسه انها من صنع الانسان نفسه من صنعه و لم تاتي اليه من الخارج و يبعد عن مفهوم الاسطورة مفهوم الخرافة المقرون بالسحر و الشعوذة ذلك ان في الاسطورة تفاعلا بينا مع صورة للانسان عن ذاته فهكذا نرى ان الاسطورة اليونانية لا تجعل الالهة بعيدين عن الانسان مجلببين بالعظمة بل تريد ان تعلمه ان يعرف ذاته ان يعي انسانيته فالاشخاص الذين يقومون بذاك في الاسطورة الهوميروسية ليسوا قوى شيطانية او خرافية انهم اشخاص محددون لم اسماءهم هم الهة و ابطال يتحركون في زمان و مكان و لهم نسب و نسل و من هنا تقع الاسطورة وسطا بين التفسير الخرافي للعالم و التفسير التاريخي او الفلسفي له (غانم هنا، 2000: 73ص)

بالمقابل ذلك يوجد ميزة اخرى للعلم اللاهوتي تتمثل في تعددية الالهة أو ما يسمى بالوثنية و الالهة المتخصصة، فقد شهد المجتمع الاغريقي تعددية في الالهة الصغرى وهب آلهة والسماء و الأرض، الالهة الكبرى وهي آلهة الأولمب ويأتي "زيوس" في المقدمة وهو رب الأرباب والناس أجمعين وهو يتحكم في الظواهر الجوية.

ثم تأتي بعد ذلك زوجته هيرا رب النساء و كانت رب الجمال ثم يأتي بعد ذلك أفروديت Aphrodite وهي متخصصة في الحب و التناسل.

الميزة الثالثة للفكر اللاهوتي تتمثل في الإحيائية Animisme وهو مصطلح من مصطلحات العلوم الإنسانية و الإجتماعية ويقصد به إعتقاد بدائي ساد المجتمعات البدائية الأولى والطبيعية على العموم كالحیوانات، النباتات، الرياح، الجبال، الوديان..... ويقول في هذا الصدد إدوارد تابور ان الانسان القديم اراد تفسير بعض الظواهر التي كانت تلازمه في الحياة كالأشباح، الموتى وهذا ما دفعه إلى إعتقاد بوجود الأرواح في جميع الكائنات الجامدة و الحية، بصياغة أخرى الإحيائية هي إعتقاد بوجود روح تسكن في الكائنات (لبصير، 2010، صفحة 48) الحية إعتقاد بأنه لكل كائن من لكائنات الجامدة و الحية لها روحا غير مرئية.2

حسب دوركايم نطلق على الاحيائية بالديانة الروحية و الكائنات الروحية غير مرئية باعين الانسان الخاصة الرابعة: للعلم اللاهوتي تكمن في الفيتيشية التي هي عبارة عن طلاس و أشياء مادية أو حيوانية أو نباتية، يعتقد فيها الإنسان أنها تجلب السعادة و الرزق وتطرد الأرواح الشريرة. الميزة الخامسة للفكر اللاهوتي تتضمن مفهوم "الطوطمية Totémisme" التي هي عبارة عن الديانة البسيطة التي عرفها التاريخ البشري و الإنسان البدائي. يحمل الطوطم صفة القداسة من طرف القبيلة أو الجماعة أين يتخذ عدة أشكال حيوانية أو نباتية مثل قطعة خشب، رأس حيواني.....، الطوطم يعادل العلم في العصر الحديث، في هذا السياق تحدث دوركايم عن الطوطم و churinga عند القبائل الأسترالية في كتابه الأشكال البدائية للحياة الدينية (1912) (ARON).

عموما فان الذهنية او العقلية المشاعية كما كتب عنها ليفي بريل levy bruhl تنطلق من المعطى المحسوس و الفوري و تتجاهل ما نطلق عليه بالحقيقة الموضوعية للبحث عن السبب الغامض و الاسطوري و القوة المخفية التي تظهر التغير في المعطى المحسوس ان المشاعي لا يبحث لا على المصدر و لا على الميكانيكية الفزيائية للظاهرة فهو يرجح الامور الى قوى غير مرئية، ان الطقوس السحرية المنبثقة من التمثلات الدينية للعالم حسب دوركايم تشكل بدائل الاجراءات التقنية العلمية للمجتمعات التقليدية بحيث يمكن لنا ان نرفض و نعترض هاته الطقوس غير فعالة لانها مختلفة جطا عن العلم الحديث لكن يوضح ان هذا الاعتراض غير مؤسس لا يسمح لنا في التشكيك في الاستمرارية بين السحر و التقنية لعدة اسباب اولاً

ان المشاعي حسب دوركايم لا يخضع للقواعد الاحصائية و لا لتحليل السببي الامر الذي يؤدي الى صعوبة في ربط العلاقات السببية و بالتالي من الصعوبة التشكيك في العلاقات السببية الخاطئة التي تركز عليها هاته الطقوس بالاضافة الى ذلك حتى ولم تصل هاته الطقوس الى نتائج منتظرة فان هاته المعتقدات السحرية لا يمكن رفضها لانه يبقى دوما احتمال انه ام يتم اداء الطقوس بشكل صحيح و هذا ما يحدث في العلم ايضا فقد تفشل التجارب و قد تفشل التوقعات الا ان هذا لا يسمح لنا بالتشكيك في النظريات العلمية المبينة لان الاخفاق يمكن ان يعود مثلا الى اخطاء في القياس و التعامل معها يوجد حجة اخرى قدمها دوركايم ان المعتقدات السحرية يتم اثباتها بواسطة التجربة مثلا طقوس صناع المطر يتم ممارستها غالبا عندما يصبح المطر نافع للمحاصيل بمعنى عندما يكون الاحتمال جيد لسقوط الامطار

لقد ايد ماكس فيبر التحليل الدوركايمي للفكر المشاعي بحيث يقول انه عندما نميز في الوقت الحالي بين صناع النار و صناع المطر الطقس الاول يظهر لنا فعال بينما الطقس الثاني يظهر لنا كدعوة او نداء لطقس سحري غير فعال يقول لنا فيبر ان هذا التمييز لا وجود له في المجتمعات التقليدية لان كلا الطقسين او نشاطين هما من طبيعة سحرية فاذا كان في الوقت الحالي الامكانية لتمييز بينهما فان هذا قد تحقق بفضل التقدم العلمي الذي مكنا من الحكم على ان نشاط و طقس صناع النار هو فعال وطقس صناع المطر اقل تاثير على التساقطات المطرية لكن هذا العلم لم يكن متوفر لدى المجتمعات التقليدية لانه لم يكن هناك المزيد من الاسباب للشك في فعالية أي منهما لذلك توجد اسباب وجيهة في المجتمعات التقليدية للاعتقاد بما نسميه السحر سبب وجيه للاعتقاد بالمفاهيم الخاطئة (BOUDON, 1969, p. 101.103)7

يتساءل دوركايم لماذا في المجتمعات المشاعية لديها الواجهة للاعتقاد في السحر يجيب دوركايم و يقول انه من البديهي لانهم بحاجة الى تقنيات جيدة لمزاولة نشاطاتهم في الزراعة و الصيد و العلاج فالمجتمعات التقليدية لا تمتلك المعارف العلمية و بالتالي فان الدين سيصبح يؤدي دور التمثل العام للعالم و مساعدتهم في اعداد تقنيات لتفسير و مراقبة الظواهر الطبيعية و الاجتماعية

لقد تضمن القرآن الكريم آيات قرآنية كونية فسرت لنا نشوء الكون والانسان، أو ما يطلق عليه بالإعجاز العلمي للقرآن، نبدأ بسورة العلق بعد قوله عز وجل: ﴿أَفَرَأَى بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، أَفَرَأَى وَرُبُّكَ الْكَرِيمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (العلق، الآية 01 – 04)

الآية الكريمة توضح أن أصل الانسان البيولوجي هو العلقه وهي النطفة في الطور الثاني (قطعة من الدم الغليظ)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. (المؤمنين،، الآية 12 – 14).

في سورة الرحمان تشير أيضا إلى أن أصل خلق الانسان هو الطين، بعد قوله جل جلاله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (سورة الرحمان الآية 14).

يوجد ظاهرة كونية وردت في القرآن الكريم تتمثل في ظاهرة الانفجار العظيم Big Bang والتي هي عبارة نظرية فيزيائية علمية تنطلق من فكرة مفادها أن الكون كان في الماضي في حالة حارة شديدة الكثافة وتمدد. معظم الذرات التي نتجت عن الانفجار العظيم كانت من الهيدروجين والهليوم مع القليل من الليثيوم، ثم إلتصمت سحب عملاقة من تلك العناصر الأولية بالجاذبية لتكون النجوم والمجرات.

إستنادا لتفسير ابن كثير فإن تمدد الكون ذكر في الآية 47 من الذاريات، لقوله سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات،، الآية 47) حيث تعني الآية أن السموات والأرض كانت كتلة واحدة كالرتق ففتتها الله أي فصلها وفجرها، يوجد الآية 30 من سورة الأنبياء، في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء، الآية 30).

5-التوفيق بين العلم و الدين في الفكر الاسلامي و المسيحي في العصر الوسيط

–لقد عرف الفكر البشري في المرحلة الميتافيزيقية ظهور الفلسفة اليونانية تليها بعد ذلك الفلسفة الإسلامية (الغزالي، ابن رشد) التي استهملت منها أوروبا في العصر الوسيط مع توماس الأكويني وسان أوغسطين.

بالنسبة للمسلمين عرفت إشكالية العلم و الدين مقاربات نقدية و نقلية بين الغزالي وابن رشد، الأول في كتابه "تهافت الفلاسفة" قدم أولوية للوحي الديني والإيماني على حساب العلم والفلاسفة، حسب الغزالي لا يوجد قانون للطبيعة أو علم يطلق عليه دنيوي، يوجد فقط إرادة إلهية، لأن العقل قاصر لمعرفة ظواهر الدنيا و الظواهر الإلهية، العلم عند الغزالي هو علم اليقين والله وحده القادر على معرفة المجهول، يقول الغزالي في تهجمه على الفلاسفة أنهم يحكمون بمنطق وتحمين من غير تحقيق ويقين ويستدلون على صدق

علومهم الإلهية بظهور العلوم الحسائية ويستدرجون به ضعفاء العقول...."إن وظيفة العقل و العلم هي تقوية الدين وإثبات قضايا دينية بوجود الله وإثبات صدق النبوة لأن الوحي معصوم ولا عصمة للعقل بحيث يكفي أن النبي قد أخبرنا بوجود الله كي يؤمن به الناس."

أما بالنسبة لابن رشد في كتابه "تهافت التهافت" اعتبر أن العقل والفلسفة هي الطريق الوحيد لتفسير الدين، كما دعى ابن رشد للتعرف على الموجودات التي خلقها الله من خلال النظر الفلسفي وعن طريق النقد والبرهان بالاستدلال بآيات قرآنية وظفها ابن رشد لتعزيز طرحه. قوله عز وجل "أدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة" أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء" يقول ابن رشد أن الله خلق الكون في قوانين ثابتة تركها للعقل الإنساني كي يتعرف عليها بواسطة الاستدلال والتجربة والقياس، لأن معرفة الله دون عقل يؤدي الى التعصب الفكري ومن بين المسلمات التي دافع عنها ابن رشد خاصة والمعتزلة عموما نجد مايلي:

__مسلمة التنزيه المطلق لله ونفي ما يسمى بالتجسيم المادي لله Anthropomorphisme بالاستدلال بآيات قرآنية، قوله تعالى: "أَقَمْنِ يَخْلُقْ كَمَنْ لَا يَخْلُقْ"، وقال: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" وبالتالي فإن ابن رشد نفى أن تكون صفات الله مشابحة لصفة المخلوقين والتأكيد على التمايز بين الخالق والمخلوق، وأن الله منزّه عن المقدار والجهات ; المسلمة الثانية لابن رشد في أن الله يعلم الكليات ولا يعلم بالجزئيات بحيث أن اله لا يعلم الأشياء التي تعرض إليها عمر أوزيد وإنما يعلم بالإنسان المطلق.

__المسلمة الثالثة تتضمن مبدأ السببية وأن الإنسان هو خالق لأفعاله ونفى القدر السابق عن الله وإثبات عدالة الله، فلو كان الله خالق لأفعال الإنسان فكيف نفسر الجزاء والحساب يوم القيامة ولما كانت ضرورة لإرسال الرسل (ابن رشد، 2000).

على غرار ابن رشد والغزالي عرف المسلمون طرق علمية ونهضة في علوم تجريبية أمثال ابن النفيس (الدورة الدموية الصغرى) قبل وليام هارفي الذي اكتشف من جديد الدورة الدموية الصغرى بعد أربعة قرون من ابن نفيس، ابن سينا وضع تصنيف الأمراض في موسوعته الطبية وكان سباقا في إكتشاف التخدير الطبيعي. الرازي الذي إكتشف علاج مرض الجدري والحصبة، ابن الهيثم أول من قدم وصف تشريحي للعين، أيضا الطبيب الجراح أبو القاسم الأندلسي هو أول من مارس عملية ربط الشرايين في حالة البشر قبل

Amboise Paré، بالإضافة إلى الخوارزمي رائد الجبر الذي ساهم في إدخال الأرقام العربية ذات الأصل الهندي إلى أوروبا.

لقد شهد المسلمون أيضا نزعة علمية في مجال الفلك خاصة في عهد الخليفة المأمون الذي وضع مرصد فلكي في بغداد لقياس علو الكواكب بواسطة ما كان يسمى آنذاك بالأسطرلاب وهو يعادل حاليا التلسكوب أما بخصوص الترجمة فقد تم إنشاء بيت الحكمة. يوجد مجال علمي آخر تخصص فيه المسلمون يتعلق بالجغرافيا مع البيروني في كتابه "الآثار الباقية عن القرون الخالية" هذا الكتاب شكل قطعة ابستمولوجية مع جغرافية بطليموس الي وصف الكثير من الأمكنة أنها تقع شرق بعض البلدان وهي الآن تقع في غرب كثير من البلدان الأخرى، والسبب هذه الأخطاء يرجع إلى الالتباس في معطيات وتقديرات الطول والعرض.

إنطلاقا مما ذكرناه يتبين لنا بأن علم الجغرافيا استلهم من العقيدة الإسلامية، بتأثير إقتران مقتضيات التجارة بالملاحة وتأثير الحج وتأمل الخلق الإلهي وآياته، ذلك أنّ الطبيعة هي إلى جانب القرآن. قرآن الخلق الذي كتبه الله، فإن أرض الجغرافيين كسماء الفلكيين هي صورة رمزية، هي "آية" من آيات الله هي التجلي، هي ظهور الله بالنسبة لنا الذي لا يستطيع أحد أن يراه كما هو بذاته. إنّ مبدأ التوحيد استبعد الفصل بين العلم والدين والایمان وهي إحدى المميزات الأساسية للعلوم العربية من جهة ليس ثمة انفصال بين علوم الطبيعية والمريثات وبين علوم الدين من جهة أخرى، إن الرياضيات في المنظور الإسلامي هي عبور من المحسوس، المدرك إلى المعقول، من عالم الصيرورة إلى عالم الأيدي، وبالنظر إلى أن الرمز 1 هو المباشر الأكثر للمبدأ الإلهي فإن سلسلة الأعداد ومركباتها هي السلم الذي يرتقي به الانسان من المتعدد إله الواحد، إنّ الرياضيات هي هكذا مرتبطة مباشرة بالرسالة الإسلامية الأساسية، رسالة التوحيد، فهي علم مقدس وواحدة من المماثلات التي توحى بوجود الله، وفي علم الفلك كامل المسلمون تركه "بطليموس" وتجاوزوه وهنا كذلك في توحيد تام مع الغايات النهائية المنوطة بالإسلام. فقد كتب أحد أعظم الفلكيين في القرن التاسع وهو "البتاني": "بعلم النجوم يقترب الانسان من البرهان على وحدانية الله ومن معرفة الحكمة في خلقه." (سيدحسين، 1979)

العرب عرفوا رائد في الفكر الاجتماعي هو العلامة ابن خلدون الذي أسس علم العمران البشري في القرن 14 قبل أن يصطلح عليه أوغست كونط بعلم الاجتماع في القرن 18، ابن خلدون في كتابه "المقدمة" حلل طبيعة العمران المغرب الأوسط من معاش وعصبية وملك، إلا أنه بالرغم من ذلك ظل مجهولا سواء بالنسبة للعرب أو الغرب إلى غاية مجيء المستشرقين أمثال المستشرق الفرنسي دوسلان Deslane الذي ترجم كتاب المقدمة إلى الفرنسية تحت إسم Les prolégomenes d'habinkhaldoun كان ذلك سنة 1862، كما عرف كتاب المقدمة أول طبعة على يد المستشرق الفرنسي E. quatrèmere سنة 1858 التي يعرف بطبعة باريس.

إنّ القارئ لما قبل القول لابن خلدون في كتابه المقدمة يلاحظ تأثره واستلهامه بالعقيدة الإسلامية وكتاب الله حيث يكتب: "بسم الله الرحمن الرحيم، يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الغني بلطفه محمد ابن خلدون الحضرمي وفقه الله تعالى، الحمد لله الذي له العزة والجبروت ويده الملك والسموات وله الأسماء الحسنى... أنشأنا من الأرض نسما (أي نفوسا) واستعمرنا فيها أجيالا وأما وينشر لنا منها أرزقا وقسما، تكنفنا الأرحام والبيوت...."

إنطلاقا من هذه المقولة نستنتج أن ابن خلدون قد قام بتصنيف العلوم والمعارف استنادا بكلمات دينية إسلامية مقتبسة من القرآن الكريم بحيث تشير عبارة أنشأنا من الأرض نسما إلى علم الديموغرافيا أو علم السكان، أما عبارة استعمرنا فيها أجيالا تشير إلى علم السياسة وعلم التاريخ، بينما عبارة ينشر لنا منها أرزقا وقسما تشير إلى علم الاقتصاد، في حين عبارة تكنفنا الأرحام والبيوت تشير إلى علم البيولوجيا وعلم التربية الأسرية.

لا شك حتى أن مصطلح العمران الذي وظفه ابن خلدون في كتاب المقدمة هو أيضا مصطلح إسلامي، بعد قوله تعالى في سورة هود الآية 61: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾. إن القارئ لكتاب المقدمة يتضح له أن ابن خلدون قد إستبعد التفسير بواسطة الدين لطبيعة العمران البشري للمغرب الأوسط. كون أن الدين حسبه كان مجرد دعوة وعصبية لتحقيق الملك أو السلطة ولم يكن غاية في حد ذاته، فالدين ميدانه الايمان La Foi وليس العلم بحيث أن علم العمران البشري هو علم مستقل عن الدين والفلسفة، يدرس التاريخ بشكل واقعي والرفض الشامل للفكر المثالي والغائي (أفلاطون، الفراي، أغسطين)، في هذا

الصدد يكتب ابن خلدون في مقدمته: "في باطنه (التاريخ أو العمران البشري) نظرا وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريف وجدير بأن يعدّ في علومها وخليق". (الحصري، صفحة 265) لقد استند ابن خلدون أيضا إلى قول الله تعالى في القرآن: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة يوسف آية 76)

فإنه يقيم مفصلة أخرى بين العلم والعقيدة، إنّ التاريخ لم يكن مكتوبا قبلنا ولم يكتب بدونا في مقدور الانسان أن يصم أذنيه عن النداء، إنه مسؤول عن قدره، وبعد ما ظهر الطاعون الأسود الجارف الذي دمر الشرق والغرب قاتلا في تونس عام 1349 أب وأم ابن خلدون، وسبب تقهقر الحضارة. كتب ابن خلدون بروعة: "....وتبدل الساكن...." وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالاجابة: والله وارث الأرض وما عليها"، فالتاريخ في المنظور الإسلامي عند ابن خلدون لا يصنع إلا من الخرافات وحيوانات ومن أوضاع وأحوال وأسباب ومن اندفاعات وماضي وهو يصنع كذلك من مشروعات إنسانية وغايات جزئية ومن نداءات ووجفات إلهية ومن العقيدة تارة مصابة بالخور والتراجع وتارة أخرى شهيدة أو منتصرة مظفرة... (ابن خلدون، 1968، صفحة 62)

في الوقت الذي شهدت فيه الحضارة الإسلامية عصرها الذهبي والعقلاني كانت أوروبا في عصر الظلمات حيث تحول العلم إلى بدعة أو هرطقة بشعارات "إعتقد ولا تسأل" "خارج الكنيسة لا خلاص له" إلا أنه بالرغم من ذلك ظهرت في عصر الوسيط بعض المحاولات للتوفيق بين العلم والدين أمثال طوماس لأكويني، سان أوغسطين إلا أن محاولتهما ظلت تقدم الأولوية للدين والنقل على حساب العلم والنقد، في هذا السياق يوجد مقولة طوماس لأكويني: "إن المعرفة الطفيفة جدا التي مكنتنا إكتسابها عن الأمور الدنيا هي مستحبة أكثر من أكبر علم بالأشياء الدنيا" (غارودي، 1970، الصفحات 96-100).

سان أوغسطين هو الآخر حاول التوفيق بين العلم والدين في كتابه "مدينة الله" أين اعتبر أن العلم يقوي الإيمان والدين، كما تحدث عن مدينتين مدينة الخير وهي المدينة الله ومدينة الشر وهي مدينة الأرضية المدينة السماوية أو مدينة الخير يسودها حب الله حتى ولو كان بإحتقار الذات، أما مدينة الأرض فيسودها حب الذات حتى ولو كان معصية الله، فالناس يعيشون فيها في الخطايا و التنافس و العنف (Lallement).

إن سبب الركود العلمي في أوروبا بالمسيحية الإرتياب من الطبيعة الذي لا يمكن ألا أن يبعد عن الله، فقد كان "أوزيب القيصري العالم اللاهوتي في الكنيسة" و "مطران قيصرية" يتوجه بقوله إلى علماء الإسكندرية: "إننا بإزدراء لنشاطكم غير المجدي نستخف كثيرا بفعاليتكم ونوجه فكرنا نحو اهتمامات أسمى". ففي عام 391 طلب البطريك "تيوفيل" إلى الامبراطور ثيودوس بإغلاق السير أيبون، آخر أكاديمية كبرى وحرق مكتبتها العظيمة. في عام 600 جرى إحراق مكتبة "بلاطين" التي أسسها أغسطين في روما وحرمت قراءة الكلاسيكين ودراسة الرياضيات (hunke).

لقد صار ينظر إلى الدنيا في العصور الوسطى من زاوية العقيدة والمذهب وأخذت العقائد مكان الآراء والعزم مكان الشك والبحث، منذ القرون الأولى للمسيحية أخذ الناس يدرسون لغاية واحدة وهي خدمة الدين وعندئذ أصبح الرجل المثقف وهو في الغالب راهب يدرس السموات السبع. (سلامة موسى، 1987، صفحة 54)

6- القطيعة بين العلم و الدين من عصر النهضة الى المرحلة العلمية

- عصر النهضة بداية القطيعة بين العلم و الدين

لقد ظلت أوروبا في عصر الانحطاط العلمي إلى غاية أواخر القرن 15 وبداية القرن 16 أو ما يطلق بعصر النهضة: الذي تزعمه فلاسفة ومفكرين وعلماء ؛ أمثال (لوثر ميكافيلي، كوبرنيكوس، غاليلي، ديكارت، بيكون) الذين حرّرو العلم من الدين، مارتن لوثر 1483 1546 رجل الدين و المصلح الألماني الذي ثار ضد الكنيسة في ما يطلق عليها بثورة الفلاحين

و علق على بابها 95 احتجاج و اعتراض منها ادانة بيع صكوك الغفران التي هي عبارة عن نخاسة و تجارة دينية و ايضا رفض الوساطة البابوية بين المؤمن و ربه هذه الثورة توجت بتحقيق حرية المعتقد الديني او حرية الذهن و تقرير المصير للنفس الانسانية و ان خلاص الانسان ودخوله الجنة ليس في يد الكهنة و الكنيسة و انما هو مسألة بين الانسان و ربه اما بالنسبة لنتائج الثورة على المستوى العلمي و الفكري حصول الانسان على الحق في ان يقرأ ما يشاء ولو كان المؤلف من كفار الاغريق او الرومان القدماء و حقه في ان يقرأ المؤلفين الذين الفو في غير الالهيات ياتي هذا بعدما قام لوثر بترجمة الكتاب المقدس الانجيل الى اللغة الألمانية رغم ان الكنيسة كانت تعارض ذلك كما قام بحرق الكتب الدينية في الساحة العامة التي هي

بعيدة عن الدين لان المؤمن لا يخضع الا للكتاب المقدس (سلامة موسى، 1987، صفحة 60)، مكيا فيلي رائد عصر النهضة احدث قطيعة ابستمولوجية بين العلم و الدين و الاخلاق لان العلم السياسي قبل مكيا فيلي كان فكرا غائيا و مثاليا مرتبط بقيم دينية و اخلاقية خاصة مع افلاطون . الفراي . القديس سان اغسطين لم يكن علم السياسة سوى وسيلة لتحقيق غايات اخلاقية و دينية . من الان فصاعدا العلم السياسي هو مستقل عن الدين و الأخلاق فعلم السياسة اصبح واقعا منهجه العلمي الاستقرار من التجربة و ليس من عالم المثل غير قابل للتحقق . يقول فرنسيس بيكون في هذا الصدد نحن مدينون لمكيا فيلي يعود له الفضل و بدون ادعاء في قول و وصف ما يقوم به الاشخاص و ليس ما سيفعلوه في المستقبل في السياق نفسه يعتبر مكيا فيلي انه لا وجود لقوة خفية و لا وجود لقوى ما فوق الطبيعة تفسر الاحداث فالعالم اصبح دنيوي و الكون لم تعد تسكنه الالهة بحيث اصبح موازي للنظام المادي و الانساني (للاشياء 17, manon, 2013)

كوبرنيكوس في كتابه "دورة الأجرام السماوية" 1530 احدث قطيعة فلكية وفيزيائية مع علم التنجيم و النظرية مركزية الأرض التي تبناها الإغريق اليونان مع بطليموس و ارسطو الى غاية العصور الوسطى اين واصلت الكنيسة الدفاع عن هذه النظرية والتي لها مسلمات أهمها أن الأرض هي مركز الكون، الأرض ثابتة لا تدور، الأرض مسطحة الشكل لينفذ كوبرنيكوس وقاليلى هذه النظرية في كتابه "حوار بين النظامين العالمين" 1632 "Dialogue sur les deux grandes systemes du monde" يأتيا بنظرية علمية فزيائية جديدة يطلق عليها بنظرية مركزية. الشمس "Héliocentrisme" من بين مسلماتها أن الشمس هي مركز الكون، الأرض كروية الشكل ثم الأرض تدور .

ديكارت هو بدوره أحدث قطيعة بين العلم والدين في كتابه "Discours de la méthode" 1637 أين اعتبر أن الشك أو ما يسمى بالكوجيتو هو دليل الوجود: "أنا افكر إذن أنا موجود" بمعنى حرية الأنا المفكرة عن نحن الجماعية (الكنيسة) (Mezouar, 2004) . العلم الديكارتي يقوم على الطبيعي و العقلاني و الرياضي.

فرنسيس بيكون في كتابه "الأورغانوم الجديد" Novum organum "دعى بدوره لتلخيص العلم من الدين والاصنام أو الأوثان لأن العلم هو وسيلة الانسان في التحكم في الطبيعة و من بين هذه الاصنام نجد مايلي

1-أوثان و اصنام العرق

2-أصنام الكهف.

2-أصنام الساحة العامة

3-أصنام المسرح.(bacon, 1986, p. 110;111;112)

- فلسفة الانوار القطيعة الكبرى بين العلم و الدين

فلسفة الانوار كان لها الدور الحاسم في احداث القطيعة مع عصر الظلمات و الكنسية ما هي الانوار هو السؤال الذي يجيب عنه ايمانويل كانط انها خروج الانسان من قصوره الذي هو نفسه مسؤول عنه قصور عجزه عن استعمال عقله دون اشراف الغير قصور هو نفسه مسؤول عنه لان سببه يكمن ليس في عيب في العقل بل في الافتقار الى القرار و الشجاعة في استعمال عقلك انت ذلك هو شعار الانوار شارل مونتسكيو في كتابه روح القوانين 1748 و على نفس خطوات نيوتن العالم الاجتماعي مثل العالم الفيزيائي يخضع الى قوانين فالقوانين هي علاقات ضرورية تنبثق من طبيعة الاشياء . كل الكائنات لها قوانينها الالهة لها قوانين العالم المادي له قوانين الانسان له قوانين الحيوانات لها قوانين بالنسبة للذين قالو ان ما نراه في العالم هو نتيجة قدرية عمياء نرد عليهم بان هذا الامر خاطئ و نتساءل كيف يمكن لهذه القدرية العمياء ان تنتج كائنات ذكية 23

لقد اعتبر مونتسكيو هو بدوره ان الحقيقة الاجتماعية تخضع الى منطق و انها ليست قضية ايمانية او اخلاقية بحيث ان ذكاء العالم الاجتماعي يقتضي اولا التخلي النهائي عن التفكير الالهي لصالح التحليل السبي ثانيا وصف ما هو موجود و ليس ما ينبغي ان يكون

- التراجع الديني امام التقدم العلمي و الصناعي

تعتبر الوضعية المرحلة الثالثة من تطور العلم، المرحلة التي تقتزن مع ظهور المجتمع الصناعي (القرن 18) والتطور العلمي، أين أصبح رجال الصناعة ورجال العلم أو التكنوقراطيين بديلا لرجال الدين و الإقطاع،

هذه المرحلة قد نظر إليها كبار الفلاسفة وعلماء امثال ماكس فيبر الذي وصف العالم الحديث بالعالم الذي فقد قدسيته الدينية "Désenchantement du monde خيبة العالم" هذا المصطلح الذي إستعاره ماكس فيبر من الفيلسوف الألماني نيتشه، هذا الأخير له عبارة شهيرة "موت الله" التي لا يعني بها موت الله بالمعنى الحرفي للكلمة لأن الله مطلق لا يموت، موت الله يقصد به نيتشه موت نمط من أنماط التقديس قد مات وإنهار يقصد الكنيسة وحل محلها تقديس العلم وتأليه العلماء والصنّاع. بالمقابل ذلك يستخدم ميشال فوكو عبارة (montesquieu, 1964, p. 530) موت الانسان التي يعني بها موت انسان العصور الوسطى وحل محله الإنسان الحديث إنسان الثورة الفرنسية. (أركون، 1993)

اميل دوركايم في كتابه التربية الاخلاقية حول ان يرسخ اخلاق لائكية في المدرسة كون هذه الاخيرة تنتج حب الانضباط و حب الجماعة و المؤسسة كما تشجع وتطور الشخصية و الاستقلالية بالمقابل ذلك المعلم حسب تصور دوركايم هو عبارة عن كاهن لائكي مهمته توضيح قانون المجتمع كما لاحظ مختلف اشكال تراجع الدين في المجتمعات الحديثة الغربية فقدان الكنيسة سلطتها الدنيوية و فصلها عن الدولة و انحسار الجماعات الدينية في جماعات تطوعية وظهور جماعات

كارل ماركس 1818. 1883 الفيلسوف و المفكر الاجتماعي و الاقتصادي استخدم مفهوم تاليه و تقديس السلعة التي تشير الى تحويل الانسان الحديث حبه و تقديسه من القوى الالهية و الطبيعية الى حب و تاليه الانتاج و المنتج او السلعة ففي المجتمعات القديمة لطالما شكل بناء الاهرامات و المقابر خدمة للالهة فانه في العصر الحديث ايضا و بعدما سيطر العمل الانساني على الطبيعة و حررها من الالهة بفضل المعجزات الصناعية فان الانسان في هذه الحالة يكون قد عوض المعجزات الالهية في السياق نفسه يوجد مقولة لماركس في كتاب بيان الحزب الشيوعي يشرح فيها الدور الثوري للبرجوازية في القضاء على المجتمع الديني قائلا ان البرجوازية قد اغرقت الرعشات المقدسة الناجمة عن الدهشة الدينية و الحماسة الفروسية ... في المياه المتجمدة للحسابات الانانية حيث حولت الكرامة الشخصية الى مجرد قيمة تبادلية .. باختصار ان البرجوازية نزعَت الافئدة الدينية و عوضتها باستغلال مباشر و متسارع. (K.marx, 1965, p. 161.163) نستنتج من هذه المقولة ان الانسان الحديث الذي ينتمي الى المجتمع العلمي و الصناعي

يقصد ماركس الانسان البروليتاري قد فقد رابطته الدينية و الاجتماعية اصبح انسان عاري مجرد من مشاعره الدينية و العاطفية يعيش في اغتراب عبارة عن شئ او سلعة مفصولا عن انسانيته .

سان سيمون 1760 1825 المفكر الاجتماعي و الاقتصادي تبنى نظرية علمية مسلماتها الصناعة و التقنية و الانتاج اطلق عليها المسيحية الجديدة عقيدتها العلم و الصناعة وليس الدين و الاهوت بمعنى ان سان سيمون الغى الدين و عوضه بالاقتصاد و العلم ليصبح المجتمع حسب سان سيمون منقسم الى مجتمعين او طبقتين المنتجون العلماء و الصناع او ما اطلق عليهم سان سيمون طبقة النحل بينما الطبقة الثانية اطلق عليها طبقة غير منتجة الطبقة الطفيلية المكونة من رجال الدين و السلطة السياسية و العسكرية في كتاب المنظم و المثل يشرح لنا سان سيمون الدور البارز لرجال العلم و الصناعة في المجتمع على حساب رجال الدين و السلطة اصحاب التاج و النبالة والتي يلخصها في المثل و المقولة التالية يقوم المثل سان سيموني على افتراضين ان تفقد فرنسا فجأة خمسين من الشخصيات المهمة في كل علم خمسين من ابرز كيميائها خمسين من ابرز فزيائياها خمسين من رياضياتها و امثالهم من الشعراء و الحرفيين ... ان خسارة هؤلاء الفرنسيين الاكثر انتاجا سيعني الحكم على الامة ان تصبح جسد بلا روح اما الافتراض الثاني ان تفقد فرنسا في نفس اليوم كل وزرائها و كبار رجال الدين ... ان هذا الحدث لن ينجم عنه أي ضرر سياسي للدولة (wikisource, 2017) و غست كونط 1857 1798 الفيلسوف و عالم الاجتماع الذي اعتبر ان الفكر البشري يخضع الى قانون التطور من الاهوتي الى الميتافيزيقي و اخيرا الى العلمية بمعنى الانتقال من الذاتي الى الموضوعي او الانتقال من الفكر السابق للمعرفة الى الفكر المنطقي و هو المعنى الذي اشار اليه ليفي برون و لفي ستروس .

لقد كانت غاية كونط من وراء تاسيس المذهب العلمي او الوضعي تشكيل دين علمي و عالمي يتزعمه العلماء و اصحاب البنوك و رجال الصناعة بدلا من الملوك و الارستقراطيين و رجال الدين و هذا بهدف اصلاح حالة الفوضى الاجتماعية الناجمة عن الثورتين السياسية و الصناعية في كتابه دروس في الفلسفة العلمية يشرح لنا كونط منهجه العلمي الذي يقوم على ملاحظة الاحداث باستبعاد كل حكم قيمي و اقرار مجموعة من القوانين و في كتابه خطاب حول العقل العلمي 1844 يقول كونط ان العقل العلمي يقوم على الملاحظة من اجل التنبؤ و دراسة ما هو موجود بعده نستنتج ما سوف يكون اذن لعلم من اجل

التنبؤ و التنبؤ من اجل تحقيق السلطة (A.comte, 1972, p. 235.237) ان علمية كونط تشير في معناها الى كل ما هو دقيق . حقيقي براغماتي و منفعي و تطبيقي و تتناقى مع كل ما هو غامض . مثالي و طوباوي . او خيالي

لقد اولى كونط اهمية كبرى للقوة قوة الحجم و الثروة في الادارة الاجتماعية بحيث ان تحقيق أي نظام يكون بمساعدة سلطة يسميها كونط بالزمنية او الدنيوية ففي المجتمع الصناعي هته السلطة تكون بين ايادي الكفاء العلماء و الصناع لاجل تسيير الاخرين الا ان هته السلطة لا يستفيد منها الا الاقلية مما يستدعي موازنتها مع سلطة روحية تتقبل العالم الحقيقي كما هو دورها احداث حب للمسؤولين و التذكير بحدود وظائفهم

ان العلم عند كونط قد تحرر من الديني و الاهوتي فلم يعد الناس متصارعين و مجبرين باقامة الحروب لكسب القوة و الثروة و لكن متعاونين للسيطرة على الطبيعة و الانتاج بوفرة للجميع

7- ماكس فيبر و اهمية الدين في الفكر العلمي الاقتصادي والراسمالي

لقد قام ماكس فيبر في كتابه الاخلاق البروتستانتية و الروح الراسمالية 1905 بربط الدين بالاقتصاد في مقارنة مغايرة للمقاربات المقدمة اعلاه اين

تحدث فيه عن كيفية مساهمة الاخلاق الدينية البروتستانتية و الكالفينية في تكوين الراسمالية فالديانة البروتستانتية بدأت مع مارتن لوثر في القرن 15 الذي ثمن العمل الدنيوي على حساب العمل الروحي اعتبر العمل واجب و نداء رباني اما جون كالفن هو بدوره شجع السلوك الاقتصادي الذي هو عبارة عن الهام و امتحان للايمان هذا السلوك يضم مجموعة من القيم مثل الادخار التقشف الانضباط في العمل و الضمير المهني فالكالفينية يؤدي ايمان المؤمن من اتباعها بالمصير المحتوم بين الصفوة القليلة أي الصطفاء الرباني المتعذر سبره الى البحث داخل نجاحه المهني عن مؤشر لاصطفائه و خلاصه في الدنيا و ليس في اطار نسكي خارج الدينامثل هذخه العقيدة تستبعد كل اشكال التصوف و الطقوسية و السحر و تقود بالتالي الى نزع السحر عن العالم و الى عقلنة السلوك الاقتصادي

حسب التعاليم الدينية البروتستانتية و الكالفينية فان الفرد يستجيب قي تحصيله للثروة لنداء رباني تجسيد مجد الرب في تنمية الكون و الاستثمار في التجارة و الامتناع عن المنفعة العقيمة وكبح الاستهلاك البادخ و رفض العزلة عن العالم

تتميز الرأسمالية في نظر فيبر بمزج بين تفان قي كسب الثروة يفرض نفسه كنداء اخلاقي و رباني من جهة و بين تفادي استخدام المدخول في الملذة الشخصية ان فكرة النداء BERUF المستخدمة في اللغة البروتستانتية تشير الى وضع الفرد اشغاله اليومية تحت سلطة الدين خلافا للنداء الديني لدى الراهب النسكي الذي يفرض عليه العزلة عن العالم اذن بفضل الاصلاح البروتستانتي للقرن 16 زعامة لوثر استطاعت اربوا في القرن 18 ان تحقق عقلانياتها الاقتصادية و تطور نظامها الرأسمالي باقصاء كل الاشكال السحرية للخلاص و تحريرها الانسان المسيحي بنسكية الحرية الدينية و مراقبة الرغبات و اثبات الايمان بالاعمال الارضية لقد درس ماكس فيبر ايضا باقي الاديان الكبرى في العالم الكونفشيوسية و الهندوسية و البودية و اليهودية و الاسلامية بالنسبة للديانة الصينية كانت عبارة عن اخلاق اجتماعية دينية ارسنها مجموعة من الكهنة يمتلكون ثقافة ادبية يحثون فيها متعلميها على احترام العالم كما هو الامر الذي شكل عائقا في تطور الرأسمالية حسب فيبر يوجد اسباب اخرى اعاقت نمو الرأسمالية في الصين اهمها الاطار الصارم و الجامد في العادات و الطقوس اي النزعة المحافظة التي تنطوي عليها الكونفشيوسية هيمنة الطقوس الاحتفالية و القيم التقليدية على المنطق و ضعف القانون العقلائي و هيمنة العلم التأملي و الروحاني و الرهباني على انماط السلوك الحياتي (فلوري، 2005، صفحة 54 56) الهندوسية شكلتها طائفة وراثية من المعلمين الاحرار لهم مهام رهبانية و طقوسية في المجتمع.

اما الديانة البودية فقد ارسنها مجموعة من القديسين اغلبيتهم من المتسولين و المتشردين كانت لهم نظرة تأملية للعالم اخلاقها كانت تشجع العمل لسد الحاجيات الضرورية دون تراكمات للاموال لان فائض القيمة يؤدي الى الفساد و بالتالي فان هذا النوع من التصور الديني شكل عائقا في ظهور الرأسمالية اما بالنسبة للديانة اليهودية فقد لاحظ فيبر ان اليهودية التقدمية هي الاقرب للبروتستانتية بحكم اتصالها مع الفلسفة الغربية ونظرتها العقلانية للعالم يمتلكون ذهنية تراكمية لراس المال و يمارسون نشاطات مهنية في البنوك و تجارة الذهب اغلبيتهم من اليهود التجار المهاجرين في اربوا و امريكا كون ان اليهودية كانت ديانة الشعب المنبوذ

وعلى مدار العصر الوسيط قضت الديانة اليهودية ادارتها تحت طبقة من المفكرين و الادباء و الطقوسيين مشكلين طبقة انتليجنسيا بورجوزية صغيرة و عقلانية مهددة بالبلترة بينما اليهودية الارتودكسية فهي تفتقر لهذه النظرة العقلانية

اما الديانة الاسلامية بدايتها حسب فيبر كانت لامعة بفضل الفتوحات و الحروب الصليبية دون ان ننسى الفلسفة الصوفية في العصر الوسيط (Lallement, p. 210;214) الا ان عقلانيتها ظلت محدودة لان المسلم يعمل من اجل اليوم الاخر فالمسلم هو متيقن بان الله سينعم عليه حاجاته الحيوية مما يجعل مفهوم راس مال غريب عنه الامر الذي عرقل وصول المسلمين الى المرحلة العقلانية بسبب تجاهل القانون الالهي و القراني للاشخاص المعنويين فالاسلام لم يفرق بين السلطة الدينية و السلطة المدنية فالسلطة الشرعية مصدرها الله وحده الدولة هي دولة الله تحكم شعب الله

.انطلاقا من دراساته للاديان اكد فيبر ان الانسان هو بحاجة الى شئ من الروحانيات و الاحساس الديني بالمقدس لكي يستطيع العيش في مجتمع عقلائي الا انه بشرط ان يتجه هذا الاعتقاد الديني نحو العقلانية الامر الذي يستوجب اتحاد اصلاح ديني مثل الاصلاح البروتستانتي للانتقال المجتمعات التقليدية الى الحداثة لان القيم الدينية لها تأثير على السلوكات الاقتصادية.

الخاتمة

خلاصة القول نستنتج ان التجربة العلمية في الاسلام كانت تستبعد الفصل بين العلم و الدين اغلبية المفكرين و الفلاسفة المسلمين نضرو الى الطبيعة كونها تجلي لايات الله و تصبح معرفة الطبيعة و الكون والانسان منفدا للتقرب الى الله بحيث لم يكن هناك سياجا دوغمائيا بين الإنسان و الطبيعة والله على عكس ما كان موجودا في اوروبا بالعصر الوسيط ليس ثمة انفصال بين الرياضيات و علم الفلك و الدين او بين التاريخ و الفلسفة والدين من جهة أخرى وهذا ما يفسر لنا انتقال العلوم من الرؤية التوحيدية للتأمل في العالم الى التأمل في الوحدانية الالهية و بالتالي يصبح الكون ايقونة يتجلى من خلالها الواحد الاحد الله عبر الكثرة و التعددية

اما بالنسبة للتجربة العلمية في اوروبا و بعدما عرفت سيطرة الكنيسة على العلوم في القرون الوسطى جاءت الثورات العلمية و السياسية و الصناعية لكي تحرر العلم من سلطة الدين ليفقد هذا الاخير قدسيته اللهوتية

و نفوده المؤسساتي ليصبح أكثر فردانية منذ عصر النهضة ليصل ذروة تحرره في القرن 19 مع تطور الراسمالية
اين تحول الاعتقاد الانساني في ديانة ايمانها الاعمى في الاله مخفي هو النمو والتقدم بمعنى الرغبة في الانتاج
باقصى كمية وباسرع طريقة و ايا كان سواء نافع او مضر او مميت مثل الاسلحة النووية للبحث عن الربح
و الاستثمار ان هذا الاله المخفي هو الاله صارم و قاسي يتطلب تضحيات بشرية و عبادة هذا الاله تقدس
الاكتفاء الانساني على حساب التعالي الالهي و تقدس الانفرادية على حساب الجماعة و هذا ما عبر عنه
فرنسوا رابلي الكاتب و الطبيب الفرنسي RABELAIS في مقولة ينتقد فيها العلم الذي لا يحترم
الانسانية قائلا ان الحكمة لا يمكن لها الدخول الى عقل قبيح العلم بدون ضمير او وعي هو مجرد دمار
للروح.

المصادر: بالعربية

* القرآن الكريم

- 1- ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الأنصال، دار المشرق، ط2، بيروت. 2000.
- 2- ابن خلدون: المقدمة، ترجمة: فانسانت مونتيل إلى الفرنسية عن طبعة بيروت، دار الشرق، 1968، ج2
- 3- أحمد أمين: فجر الاسلام- الأسس سلسلة تاريخ وحضارات، تحت اشراف علي كندر، موقع للنشر، الجزائر، 1994، ص 234
- 4- السيد حسين نصر: العلم والمعرفة في الإسلام، باريس للمنشورات سندباد، 1979.
- 5- ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العربي، مصر، القاهرة.
- 6- سلامة موسى: ما هي النهضة ومختارات أخرى، منشورات الأنيس سلسلة العلوم الانسانية، موفم للنشر، 1987
- 7- عبدالمجيد لبصير. موسوعة علم الاجتماع دار الهدى عين مليلة الجزائر 2010
- 8 - لوران فلوري. ماكس فيبر. دار الكتاب الجديد المتحدة بنغازي ليبيا 2005
- 9- روجيه غارودي، وعود الإسلام، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الرقي، بيروت، 1970.
- 10- غانم مهنا من الاسطوري الى الدين ، الدين في المجتمع العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية 2000

المصادر الأجنبية

- 11-Angers Maurice ,Initiation Pratique à la methodologie des sciences humaines,Ed casbah,Alger,1997 .
- 12-E.DURKHEIM.LES FORMES ELEMENTAIRES DE LA VIE RELIGIEUSE 1912.PARIS PUF QUADRIGE 1985
- 13- RAYMOND BOUDON .LES METHODES EN SOCIOLOGIE .PUF PARIS France 1969 PP101.103
- 14 - Francis bacon .novum organum .puf paris 1986
- 15- A.comte discours sur l.esprit positif 1844 extrait de la science sociale paris .gallimard .1972
- 16-Bellakhdar Mezouar ,Religion et lien social en Algérie, thèse de doctorat, Université de Tlemcen,2004 .
- ¹⁷⁻ Charle de montesqieu .de l.esprit des lois 1748 in œuvre complètes .paris seuil 1964
- 18- K.marx .f .engels .manifeste du parti communiste gallimard 1848 paris gallimard 1965.
- 19- Simone manon www.philolog.fr les notions de fortune et de vertu chez machiavel 4 decembre2013.
- 20-Sigrid hunke, Le soleil d'allah brille sur l'occident, Albin Michel.